لقـــد مات غاندى !

الأستاذ عبد العزيز محمد الزكى

نعم لقـد مات غاندى مقتولا ، واغتيل غدراً بيد هندوكية آثمة ، ظنت أن فى موت غاندى استقلال الهند واتحادها ، وفى حياته تعطيلا لهـذا الاستقلال وعرقلة لذلك الاتحاد ، فصوبت رصاص مسدسها إلى جسد غاندى الهزيل لتستقل الهند وتتحد .

من العجيب أن يموت ذلك الإنسان الإلهى الذى قضى حياته يرن الهنود على مقابلة العنف والعدوان والكراهية بالحب والعفو ، ويعودهم اتخاذ السـبل السلمية وسائل لنيل جميع أغراضهم السياسية . وعجيب أن يقتل ذلك الزعيم الروحى عنفاً وعدواناً بيد أحد من علمهم اللاعنف والحب والطرق السلمية . وعجيب أن نسمع نحن المصريين عن شعب خاف أن يقضى الصوم على حياة بطله المقدس ، ويخضـع لشروطه السلمية لإيقاف الاضطرابات الدينية فى الهند ، ويقبل بعد مدة وجيزة أن يقتله شر قتلة .

إن الأمر يتطلب توضيحاً . ويقوم هذا التوضيح فى أن فى الهند منذ الحرب العالمية الأولى اتجـاهين سياسيين : أحدهما اتجاه غاندى وهو ينادى بأنه لا يجب أن نتخذ من السبل لتحقيق أمانينا غـير سبيل الحب واللاعنف والمقاومة السلبية السلمية ، أما الاتجاه الآخر فهو اتجاه منافس غاندى الزعيم الهندى الكبير لقانيابل قندهار طيلاق ، وهو عالم رياضى واسع الاطلاع ، ضحى بمستقبله العلمى واعتزل الرياضة وخاض ميدان السياسة ليعمل لتحقيق استقلال الهند . وهو كغاندى لم يكن له مطمع شخصى بل كل ما كان يتمناه أن تفوز الهند باستقلالها حتى يعود إلى أبحاثه العلمية . وكان اتجـاه طيلاق السياسى اتجاهاً عملياً بحتاً ، ويرى أن السياسة ليست من أعمال الزهاد والأتقياء ورجال الدين ، ويعتقد أنه لا يجوز تطبيق المبادىء الدينية على الطرق السياسية ويميز بين السياسة والدين ، ولا يتورع — بخلاف غاندى — على أن يسلك أى سبيل مهما تعارض مع التعاليم الدينية ما دام يؤدى إلى استقلال وطنه . فعنده حرية الوطن أجل من الدين ؛ بينما غاندى يؤمن بأن مبادىء الدين أسمى من حبه للهند .

فاختلف غاندى وطيلاق فى أسلوب محاربة المستعمرين : فحارب غاندى الانجليز بقوى الروح وسـلاح الحب وبالعصيان المدنى السلمى وكان طيلاق يود أن يحاربهم بالعنف والثورة ، ولـكن الزمن لم يعط له فرصة لينافس غاندى طويلا فاختطفه الموت سنة ١٩٢٠ ؛ إذ لو بقى طيلاق حياً لما كان لغاندى غير الزعامة الروحية وكان لطيلاق الزعامة السياسية ، وبموته أصبح غاندى الزعيم الروحى والسياسى جميعاً ردحاً من الزمن .

ولئن مات طيلاق فإن روحه لم تمت . بل حاولت مبادئه السياسية أن تظهر فى مناسبات كثيرة ، لولا يقظة غاندى الروحية وقوة تأثيره على الشعب ومقاومته لـكل هياج همجى ، وتسليحه الهنود بأسلحة سلمية مثل مقاطعة الانجليز سياسياً واقتصادياً وثقافياً ، ولما لم تفلح هذه المقاطعة فى إخراج الانجليز من الهند كما لم تهدأ من سخط المتدينين بضرورة استخدام الثورة فى طرد الانجليز من بلادهم ، اضطر غاندى إلى أن يلجأ إلى العصيان المدنى السلمى ، وظل يشجع قومه على محاربة الانجليز سلمياً ، إلى أن أجبرت الحـكومة البريطانية على أن ترد للهند حريتها .

بذلك فازت طرق غاندى السلمية على طرق منافسيه العنيفة وحصلت الهند على حريتها بدون ثورة ولاحرب ، ولـكن غاندى إن نجح فى إقناع مواطنيه باتخاذ الطرق السلمية وسيلة لنيل الاستقلال ، فإن قتله يدل على أنه لم ينجح فى إقناع هؤلاء المواطنين باتخاذ الطرق السلمية فى سبيل اتحاد الهند ، ونبذ الحزازات الدينية .

إن الهند بعد أن نالت استقلالها واجهت مشكلة تقسيمها إلى دولتين : إحداهما إسلامية ، والأخرى هندوكية ؛ وسبب ذلك التقسيم يرجع إلى ما بين المسلمين والهندوس من عداء قديم ، نشأ من يوم أن غزا محمود الغزنوى الهند ، وكون إمبراطورية إسلامية فيها وظلت هـذه الامبراطورية من بعده إلى أن أتى الانجليز واستعمروا الهند . وفى هذه القرون الطويلة عامل المسلمون من ترك وتتار وفرس الهندوس كما يعامل عبدة الأصنام فقتلوا فيهم وهدموا كثيراً من معابدهم ، وحطموا تماثيلهم وأنزلوا بهم مختلف أنواع القسوة لعبادتهم الأوثان وتأليههم الحيوان ، فولدت

هذه القسوة الحقد والبغضاء ، وظل الهندوس يكرهون المسلمين من عهد الغزنوى إلى الآن .

ولما تحقق استقلال الهند ، وكان الهندوس أغلبية السكان ، خاف المسلمون من انتقام الهندوس ، ووطدوا العزم على أن يكون لهم دولة مستقلة تضم جميع المسلمين وتسمى بالباكستان . ولكن الهندوس يرغبون فى أن تكون الهند دولة واحدة متحدة ولا يرغبون فى أن تكون منقسمة . فما كادوا يعلمون تقسيم الهند إلى باكستان وهندستان حتى أخذت الاضطرابات تنتشر فى بعض المقاطعات الهندية ، وأخذ المسلمون يقتلون الهندوس فى الولايات الإسلامية ، وأخـــذ الهندوس يذبحون المسلمين فى الولايات الهندوسية مما اضطر غاندى إلى أن يستعين بالصوم على منع تلك المذابح البشرية ، فنذر صوماً طويلا يدوم بدوام هـذا الصراع الدموى الذى بين المسلمين والهندوس . ولم يمض على صومه خمسة أيام حتى تعرضت حياته للخطر ، فأنذر الأطباء الذين يشرفون على علاجه ، بأنه إذا لم يقلع غاندى عن الصوم ، فإنه يقضى على حياته . فلم يكد زعماء الهنود من مسلمين وهندوس وسيخ يسمعون هذا الإنذار حتى وعدوا غاندى بأنهم سيتعاونون فى الحال على إنهاء الاضطرابات الدينية حتى يسود الود والسلام والحب بين جميع سكان الهند على اختلاف أديانهم . ولكن يبدو أن بعض الهنود الذين يميلون إلى العنف وإلى الثورة وإلى الحرب ، لم يرتاحوا إلى صوم غاندى الذى خلص الهنـد من المجازر البربرية مع بقائها منقسمة إلى باكستان وهندستان وفضلوا أن يستمر النضال بين المسلمين والهندوس إلى أن تقبل الباكستان أن تنضم إلى الهندستان وتصبح الهند متحدة ، وشعروا فى الوقت نفسه أن غاندى بنفوذه الروحى استطاع أن يخمد حرباً أهلية هجمية ويحيط حركة ثورية كانوا يعولون عليها كل التعويل ، فسخطوا على نفوذ غاندى الروحى على الشعب ، وكرهوا أن تحسن معاملة الهندوس للمسلمين ، وترد إليهم مساجدهم التى حولت إلى معابد هندوسية من الاضطرابات الأخيرة ، واحتفوا على أن يكون للمسلمين أى سلطة فى الهند ، فأقدموا على قتل بطل روحى ضحى بشبابه وكهولته فى سبيل الهند ، وفى سبيل إصلاح الهند ، وفى سبيل تحرير الهند ، ورأى أن التعاون بين المسلمين والهندوس أمر ضرورى لاتحاد الهند ، وبدون تبادل الحب بين أهـل الهند لن تكون هناك هند متحدة ، فمات غاندى شهيد مبادئه الروحية .

بينما كان منافسوه السياسيون يرون أن القضاء على المسلمين وإبادتهم من الهند أسلم من التعاون معهم ، وأفضل من مبادلتهم الحب فأقدموا على قتل غاندى بقلوب حاقدة لا تقدر عواقب فقـده ، ولا تدرك عظم الخسارة التى لا تعوض ، فإن الهند بفقدها غاندى قد فقدت زعيما روحياً ، يفهم تمام الفهم الروح الهندية ، ويملك قوة روحية يعرف كيف يسيطر بها على الهنود ويوجههم الوجهة التى تتفق مع تعاليم الدين الهنـدوسى والمبادىء الإنسانية ، وتجنب الهند ويلات الثورات وأشرارها . أما الآن فمن يضمن للهند بأن هناك من يحل محله . إن أمثال غاندى لا يظهر إلا مرة واحدة كل عدة قرون فكيف عجل قومه بإبعاده عن الدنيا ؟ أحسب أن موت غاندى ترك فراغاً كبيراً فى الهند فى وقت هى فى أشد الحاجة إليه . إن اغتياله سيورث الهند مشاكل خطيرة ويثير زوابع نفسية متعارضة يخاف منها على مستقبل الهنـد ، ويقلب آراء بعض الهيئات الهندوسـية المتطرفة التى ترى أن الحرب أسرع فى توحيد الهند من أى طريق آخر ، فتعود الهند إلى ما كانت عليه من فوضى ، وتكتسح الاضطرابات الدينية جميع أنحاء الهنـد بعد أن كانت قاصرة على بعض الولايات ، وتنتصر طرق العنف وأساليب القوة على القيم السلمية التى وضعها غاندى كدستور إنسانى شريف للهند .

(الإسكندرية) عبد العزيز محمد الزكي
ليسانسيه فلسفة

إدارة البلديات العامة — ميانى

تقبل العطاءات بمجلس بلبيس البلدى حتى ظهر يوم ١٨ / ٢ / ١٩٤٨ عن اصلاح وترميم سلخانة المجلس وتطلب الشروط والمواصفات من المجلس على ورقة تمغة فئة ٣٠ مليما نظير مبلغ ٥٠٠ مليما للنسخة خلاف أجرة البريد .

٨٨٠٣